السعادة الحقيقية واين توجد

أتوسل اليك ايتها السعادة بقلب خاشع ورأس خافض اجلالاً لمقامك السامي ان ترشديني اين أنت وكيف السبيل الى لقياكِ ؟ أفي تلك القصور الشاهقة او في تلك الاكواخ الحقيرة مسكنك ؟ ام في الحدائق الغناء او الصحارى الغبراء يكون مقرك ؟

فتشت عليك طويلاً هنا وهناك فلم اجد لك أثراً فاين أنت حينئذٍ ؟ أفي تلك القبور مختبئة أنتِ بين جثث هامدة واجسام بالية وعظام نخرها السوس كي لا يراكِ احد وتتمتعين بالانفراد في تلك الربوع الخالية حيث هناك يوجد السكون الدائم والسلام المستمر ؟ كلاً وألف كلاً . فليس هذا موضعك لأن لك قدراً فوق كل قدر . ام أنتِ على قمم تلك الأشجار العالية متربعة حيث تتمايلين ذات اليمين وذات الشمال مع تلك الأغصان كلما حركتها الرياح . لا ومقامك الأسمى لا أرضى لكِ ان تكوني كذلك

نبيلة أنت ايتها السعادة وشريفة هي خصالك وحميدة هي مكارمك فصفات كهذه توحدت في شخصكِ الكريم لا بد لك من مكان تقطنيه يليق بها فاين أنتَ يا هذا المكان الذي فيك وضعت آمالي وعندك ينتهي كل رجائي ؟

ليس بعزيز عليكِ ايتها السعادة ان تهبيني شفقة منكِ

كيف السبيل الى ذلك المكان حيث اجدك هناك ترتعين في بحبوحة الهناء

مهلاً ايها السائل مهلاً فلقد تخيلتك فتى نبيلاً تميل الى معرفتي وتوسلت طويلاً في طلبي . ولكن عجباً ! كيف تجهل مقرّي وهل انتهى بك الفكر عند ذلك الحد واقتصرت على ان لا تهتدي على ذلك المكان الا بارشادي اياك عنهُ

فرفقاً بك وخوفاً من ان يحلّ بك اليأس والقنوط لا أبخل عليك بان أقودك الى ذلك المكان حيث أقيم

شكراً لكِ وألف شكر ايتها السعادة الحسناء فلقد غمرتني فضلاً بعطفك عليّ ، وملأتني سروراً بمخاطبتك اياي كرماً منك، وعند ذلك اشرق نور طلعتك واخترقت اشعتهُ ذاك الظلام الحالك وهنا اهتززت طرباً حيث رأتكِ عينيّ متشحة بلباس الفخار ، وطرت سروراً حينما وجدت مقرّك الوحيد بعد ان تقوّضت حصون آمالي من الفوز بوجوده فانتِ بدار (القناعة) تقيمين تلك الدار المقدسة التي اخترتها لنفسك — ونعم الاختيار — وهنا أرفع صوتي مفتخراً بانك أنتِ هي السعادة الحقيقية وها هو حقيقة مقرّك وفيهِ تعيشين

« القناعة » تناديكم ايها الاخوان فاقتفوا أثرها وتعلقوا باذيالها وكونوا لها ابناء صادقين فعليها تأسيس دعائم تلك السعادة الحقيقية لا تلك السعادة الوهمية والله الموفق الى سبل الرشاد

حبيب زكي

بمصر